٣- العبـادة

● **معنى العبادة:**

العبادة هي: طاعة العابد لمعبوده فيما أمره به من فعل، أو ترك بالحب والتعظيم والذل له.

والذي يستحق العبادة هو الله وحده لا شريك له، والعبادة تطلق على شيئين:

الأول: التعبد: وهو التذلل لله عز وجل بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، محبة له،وتعظيماً له.

الثاني: المتعبَّد به: ويشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة كالدعاء، والذكر، والصلاة، والمحبة ونحوها، فالصلاة مثلاً عبادة، وفِعلها تَعَبُّد لله، فنعبد الله وحده بالتذلل له، محبة له ، وتعظيماً له، ولا نعبده إلا بما شرع : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠] .

● **حكمة خلق الجن والإنس:**

لم يخلق الله الثقلين - الجن والإنس- عبثاً أو سدى، لم يخلقهم ليأكلوا ويشربوا، ويلهوا ويلعبوا ، ويضحكوا ويتمتعوا ، إنما خلقهم ربهم لأمر عظيم وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه ، وتعظيمه، وتكبيره ، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

فإذا فعلوا ذلك سعدوا في الدنيا، وفازوا بالجنة ، والقرب من ربهم يوم القيامة كما وعدهم بقوله : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

● **حكمة العبادة:**

امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه مبني على الإيمان بالله عز وجل، وإدامة تصور عظمة الخالق ومالك الملك في القلوب، وذلك بكثرة ذكره وشكره،والتفكر في آياته ومخلوقاته.

ولإدامة هذا التصور ورسوخه في القلب شرع الله لعباده مُذكِّراً مكرَّراً، وعملاً متجدداً، وهو العبادة، وإذا زاد الإيمان وقوي استنار القلب بالإيمان ، وحسنت الأقوال والأعمال والأخلاق وزادت ، ثم رضى الرب ، ثم صلحت الأحوال بالفوز بسعادة الدارين ، وإذا فُقد الإيمان أو نقص ساءت الأعمال ، ثم فسدت الأحوال ، ثم غضب الرب ، ثم حصلت العقوبة.

١ - قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ

ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف/ ٩٦].

● **أركان العبادة :**

عبادة الله عزوجل تقوم على ثلاثة أركان :

محبة الله .. ورجاؤه .. والخوف منه .

١- محبة الله أهم أركان العبادة ، ومحبة الله تنشأ من معرفة الله ، ومعرفة أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ومعرفة نعمه وإحسانه إلى خلقه .

وكلما زادت معرفة العبد بربه زاد حبه لله ، وزاد تعظيمه له ، وزادت طاعته له ، وزاد حب الله له، فالمحبة الكاملة من الرب مقرونة بالطاعة الكاملة من العبد .

وكلما أطاع العبد ربه زاد حب الله له بقدر طاعته ، وكلما عصى العبد ربه نقصت محبته لله بقدر معصيته ، ونقصت طاعته له .

وكلما نقصت معرفة العبد بربه زادت معاصيه على طاعاته ، وإذا ضعفت محبة الله في قلب العبد بسبب كثرة معاصيه فقد لذة العبادة ، واستولى عليه الشيطان ، فيؤدي العبادة وهو لاهٍ غافل عن ربه ، ووجد اللذة بالمعصية ، وأحس بثقل الطاعة .

ومما يقوي محبة الله في قلب العبد: معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة نعم الله عليه ، ودوام النظر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، وأداء الواجبات ، واجتناب المحرمات ، والإكثار من نوافل العبادات : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد/ ١٩] .

لهذا يجب على المسلم أن يعرف ربه حقاً ، ويعبد الله بموجب هذه المعرفة ، ويحب كل ما يحبه الله ويرضاه من الطاعات ، ويكره كل ما يكرهه الله من المعاصي .

٢- رجاء الله تعالى ، وهو الطمع في رضوان الله وثوابه ورحمته ومغفرته وجنته .

والرجاء ثلاثة أقسام :

الأول : رجاء من أطاع الله في أن يتقبل الله عمله ، وأن يثيبه عليه بالفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

الثاني : رجاء من أذنب ذنوباً ثم تاب منها أن يغفر الله له ذنوبه ، وأن يعفو عنها ، وأن يبدلها حسنات ، وهذان القسمان محمودان ، مأمور بهما شرعاً .

الثالث : رجاء من هو مقيم على المعاصي ، فيتمادى في التفريط في الواجبات ، والوقوع في المحرمات ، ومع ذلك يرجو رحمة الله .

فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب المذموم : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

٣- الخوف من الله تعالى ، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف .

والخوف المحمود هو ما حال بين العبد وبين معصية ربه العزيز الجبار .

والخوف من الله ﷻ إنما ينشأ من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة ضعف العبد ، ومعرفة وعيد الله لمن عصاه بالعقوبات ، ومعرفة شدة العذاب الذي أعده الله لمن عصاه .

وكلما قوي إيمان العبد بربه ، وقوي تصديقه بعذاب الله ، وعرف شدة عذاب الله لمن عصاه اشتد خوفه من الله ، ومن عذاب الله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠] .

فيجب على المسلم أن يعبد الله محبة له ، وتعظيماً له ، وطمعاً في ثوابه ، وخوفاً من عقابه : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩] .

- **أقسام العبادة :**

العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

والعبادة بهذا المعنى العام الشامل تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : العبادات المحضة ، وهي العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله كالدعاء والذكر ، والصلاة والصوم ، والخوف والرجاء وغيرها من العبادات التي شرعها الله ﷻ.

وتنقسم العبادات المحضة إلى قسمين :

١ - العبادات القلبية ، وهي نوعان :

الأول : اعتقاد القلب أنه لا إله إلا الله،وأنه لايستحق العبادة إلاهو وحده لا شريك له، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ونحو ذلك .

الثاني : عمل القلب ، ومن ذلك حب الله تعالى وتعظيمه ، والتوكل عليه ، والافتقار إليه ، ورجاء ثوابه ، والخوف من عقابه ، وإخلاص العمل له ، والصبر على فعل أوامره ، واجتناب نواهيه ، والصبر على أقداره ونحو ذلك .

٢ – العبادات البدنية ، وهي قسمان :

الأول : العبادات القولية، ومنها: النطق بالشهادتين، وذكر الله وتكبيره ، وتسبيحه وتحميده، وقراءة القرآن ، والدعاء ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وبذل النصح، وتعليم العلم الشرعي ونحو ذلك .

الثاني : العبادات الفعلية كالصلاة والصوم ، والحج والعمرة ، والجهاد، وطلب العلم، والزكاة والصدقة ، والذبح والنذر ونحو ذلك.

القسم الثاني : العبادات غير المحضة ، وهي الأقوال والأعمال التي ليست عبادات في أصل مشروعيتها ، ولكنها تتحول إلى عبادات لله بالنية الصالحة .

وتنقسم العبادات غير المحضة إلى ثلاثة أقسام :

الأول : فِعل الواجبات والمستحبات ، وذلك مثل بر الوالدين ، وصلة الرحم ، والإصلاح بين الناس ، والنفقة على الزوجة والأهل والأقارب، وإكرام الضيف، و القرض ، والهدية ونحو ذلك ، فهذه إذا فعلها المسلم مبتغياً بذلك وجه الله تعالى صار ذلك عبادة يثاب عليها فاعلها.

الثاني : ترك المحرمات والمكروهات ابتغاء وجه الله ، مثل ترك الغيبة والنميمة ، وترك الربا والزنى ، والسرقة ، والغش، وسائر الفواحش ، فهذه إذا تركها المسلم ابتغاء وجه الله ، طلباً للثواب، وخوفاً من العقاب ، وامتثالاً لأمر الله ، كان ذلك الترك عبادة يثاب عليها فاعلها .

الثالث : فِعل المباحات ابتغاء وجه الله تعالى كالبيع والشراء ، والأكل والنوم وغيرها من الأعمال المباحة ، فهذه إذا فعلها المسلم ابتغاء وجه الله ، صار فعله عبادة يثاب عليها .

١ – قال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

٢ – وقال الله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء/ ١١٤] .

٣- وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلى الله وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». متفق عليه(١).

● **طريق العبودية:**

عبادة الله عز وجل مبنية على أصلين عظيمين:

حب كامل للهِ عز وجل .. وذل تام له.

وهذان الأصلان مبنيان على أصلين عظيمين ، وهما:

مشاهدة منة الله وفضله وإحسانه ورحمته التي توجب المحبة..ومطالعة عيب النفس، والعمل الذي يورث الذل التام للهِ العزيز الجبار.

وأقرب باب يدخل منه العبد إلى ربه باب الافتقار إلى ربه جل جلاله ، فلا يرى نفسه إلا مفلساً، ولا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ولا سبباً يتعلق به، ولا وسيلة يمنّ بها، بل يشهد ضرورته كاملة إلى ربه عز وجل، وأنه إن تخلى عنه خسر وهلك.

١ - قال الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣].

٢- وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥].

● **أكمل الناس عبادة:**

أكمل الناس عبادة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؛لأنهم أكملهم معرفة بالله وأسمائه وصفاته،وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده ، وأعظمهم حباً لله، وتعظيماً له، ثم زادهم الله فضلاً بإرسالهم إلى الناس، فصار لهم فضل الرسالة، وفضل العبودية الخاصة.

ثم يليهم الصديقون الذين كمل تصديقهم للهِ ولرسوله ، واستقاموا على أمره، ثم الشهداء الذين شهدوا بالحق، وبذلوا أنفسهم من أجل الحق، ثم الصالحون الذين صلحت أعمالهم.

وأبواب الكريم مفتوحة لمن شاء:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء/ ٦٩].

● **حق الله على العباد:**

حق الله على أهل السموات وأهل الأرض أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٥٢٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٩٠٧).

فهو وحده أهلٌ أن يُعبد ، بأن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.
ومن الذي لم يصدر منه خلاف ما خُلق له إما عجزاً ، وإما جهلاً، وإما تفريطاً ، وإما تقصيراً ، فنستغفر الله ونتوب إليه من جميع الذنوب والخطايا.
لذا فلو أن الله ﷻ عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم؛ لأنهم مُلكه ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، لكنه كريم أوجب على نفسه لعباده ما لا يجب عليه .
١- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رِدْف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير، قال فقال: «يَا مُعَاذُ ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟» قال: قلت: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قال: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» قال: قلتُ يَا رَسُولَ اللهِ ، أَفلا أبشِّرُ النَّاسَ؟ قال: «لا تُبشِّرْهُمْ فَيتَّكِلُوْا». متفق عليه[١].
٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « لنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ » قَالَ رَجُلٌ : وَلَا إِيَّاكَ يَا رَسُولَ الله، قال: «وَلَا إِيَّايَ ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنيَ الله مِنْهُ بِرَحْمَةٍ ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا». متفق عليه[٢].

- **كمال العبودية:**

١- وظيفة العبد المؤمن بين يدي ربه تقوم على خمسة أصول ، وهي:
امتثال الأوامر.. واجتناب المناهي .. وشكر النعم .. والاستغفار من الذنوب .. والصبر على الطاعات والمصائب وعن المعاصي ، ومن قام بواجب هذه الخمس أسعده الله في الدنيا والآخرة.
٢- الله عز وجل يبتلي عباده ليمتحن صبرهم وعبوديتهم لا ليهلكهم ويعذبهم.
فلله على عبده عبودية في الضراء كما له عليه عبودية في السراء، وله عبودية فيما يكره الإنسان كما له عبودية فيما يحب، وأكثر الناس يعطون العبودية فيما يحبون، والشأن إعطاء العبودية في المكاره ، وهم متفاوتون في ذلك.
فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية، والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية، ونكاح زوجته عبودية، وترك المعاصي التي ترغبها النفس من غير خوف الناس عبودية،

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم برقم (٣٠)، واللفظ له.
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٨١٦)، واللفظ له.

والصبر على الجوع والأذى عبودية، ولكن فرق بين العبوديتين.

فمن كان قائماً للهِ بالعبوديتين في حال السراء والضراء، وحال المكروه والمحبوب، فهو من عباد الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وليس لعدوه سلطان عليه ، فالله يحفظه، ولكن قد يغتاله الشيطان أحياناً.

فإن العبد قد ابتلي بالغفلة والشهوة والغضب، ودخول الشيطان على العبد من هذه الأبواب الثلاثة، وقد سلط الله على كل عبد نفسه وهواه وشيطانه ، وابتلاه هل يطيعها أم يطيع ربه؛ لتظهر منه العبودية الاختيارية: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

٣- الله عز وجل له على الإنسان أوامر، والنفس لها أوامر، والله يريد من الإنسان تكميل ما يحب من الإيمان والأعمال الصالحة، والنفس تريد تكميل ما تحب من الأموال والشهوات.

وقد ملأ الله الدنيا بمحبوباته من أنواع الطاعات والقربات ، وملأ الآخرة بمحبوبات العبد من أنواع النعيم في الجنة.

والله عز وجل يريد منا العمل للآخرة، والنفس تريد العمل للدنيا، والإيمان هو سبيل النجاة والمصباح الذي يبصر به الحق من الباطل ، والخير من الشر ، وهذا محل الابتلاء في البشر.

١ - قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت/ ٢-٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف/ ٥٣].

- **فقه العبودية:**

الأرض قابلة لما يُغرس فيها من حلو ومر ، وأرض الفطرة رحبة قابلة لما يُغرس فيها ، فمن غرس شجرة التوحيد والإيمان والتقوى جنى حلاوة الأبد ، وجنة الخلد.

ومن غرس شجرة الكفر والجهل والمعاصي جنى شقاوة الأبد، ونار الخلد.

وأعظم المعارف أن تعرف ربك وما يجب له ، فتقرُّ له بالجهل في العلم ، والتقصير في العمل ، والعيب في النفس ، والتفريط في حق الله ، والظلم في معاملته : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود/ ١١٢] .

فهذا العارف حقاً ، العبد حقاً ، الفقيه حقاً .

إنْ عمل حسنة رآها منَّة من الله عليه ، فإنْ قَبِلها فمنَّة ثانية ، فإنْ ضاعفها فمنَّة ثالثة ، وإنْ ردها فلكون مثلها لا يصلح أن يواجه به الملك العزيز الجبار سبحانه.

وإنْ عمل سيئة رآها من تخلِّي ربه عنه ، وإمساك عصمته عنه.

إنْ أَخَذه بذنوبه رأى عدله ، وإنْ لم يؤاخذه بها رأى فضله ، وإنْ غفرها له فبمحض إحسانه وكرمه.

وجميع ما في السموات والأرض كلهم عبيد لله الملك الحق .

وكل إنسان يجب أن يقر أنه عبدٌ لله كوناً وشرعاً:

فأنت عبده كوناً ؛ لأنه الخالق لك ، والمالك لك ، المدبر لأمرك.

وأنت عبده إن شاء أعطاك ، وإن شاء منعك ، وإن شاء أغناك ، وإن شاء أفقرك ، وإن شاء هداك، وإن شاء أضلَّك ، وإن شاء أحياك ، وإن شاء أماتك.

يفعل بك العزيز الرحيم ما يشاء حسب ما تقتضيه حكمته ورحمته .

وأنت عبده شرعاً ، يجب أن تعبده بما شرع ، فتفعل الأوامر ، وتجتنب النواهي، وتؤمن بالله؛ لتسعد في الدنيا والآخرة .

وجميع الخلق فقراء إلى الله ، وفقرهم إليه قسمان :

الأول : فقر اضطراري ، وهو فقر جميع المخلوقات إلى ربها في وجودها وإمدادها وتدبيرها وبقائها وما يلزمها.

الثاني : فقر اختياري ، وهو ثمرة معرفتين :

معرفة العبد ربه ، ومعرفة العبد نفسه ، فمن عرف ربه بالغنى المطلق ، عرف نفسه بالفقر المطلق ، ولزم باب العبودية إلى أن يلقى ربه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥].